منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ١٨ ﴾ اوهام العرب

ولا بأس بايراد شيء من اوهامهم فمن ذلك

١ ذهابهم الى ان دماء المتضاغنين لا تختلط معًا قال المتلمس

احارث لو انَّا تُساط دماؤنا تزايلنَ حتى لا يمس دمٌ دما (١)

وقال المثقّب العبدي

فلو انَّا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

٢ زعمهم ان لكل شاعر تابعًا من الجن يلقنهُ الشعر قال ابو النجم العجلي

اني وكل شاعر من البشَرْ شيطانهُ انثى وشيطاني ذكَرْ

وقال جرير بن عطية

رأيت رقي الشيطان لا تستفزهُ وقد كان شيطاني من الجن راتيا

وقال الفرزدق في وصف قصيدة لهُ

كأنها الذهب العقيان حبَّرها لسان اشعر خلق الله شيطانا

وكانوا يزعمون ان اسم شيطان الفرزدق عمرو . وقال الاعشى ميمون في شيطانهِ وكان يدعوهُ مسحلاً

دعوتُ خليلي مسحلاً ودعوا لهُ جُهُنَّام جدعًا للهجين المذمَّمِ (٢)

ومما يروونهُ لحسان بن ثابت قولهُ

ولي صاحب من بني الشيصبان فحينًا اقول وحينًا هُوَهْ (٣)

وذهبوا الى ان الجن لا ياكلون قال شمير بن الحارث الضبي

اتوا ناري فقلت منون قالوا سراة الجنّ قلت عموا ظلاما

فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الانس الطعاما

لقد فُضِّلتُمُ بالاكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما

أميطوا عنا الطعام فان فيهِ لآكلهِ النقاصة والسقاما (٤)

---

(١) تساط تخلط (٢) قيل ان جهنام اسم تابعة عمرو بن قطن وكان عمرو يهاجي الاعشى . وجدعًا للهجين اي الزمه الله الجدع اي قطع عنهُ الخير . والهجين هنا اللئيم . والمذمم المذموم

(٣) الشيصبان اسم قبيلة من الجن والهاء في هوه هاء السكت (٤) امط نحِّ

وقد مرَّ معنا عند الكلام عن تدمر انهم قالوا ان الجن هم الذين بنوها بالصفاح والعمد فاثبتوا لهم احتراف البناء (٥)

وزعم آخرون ان الجن بارعون في فنون الغناء ودليلهم قول القطامي

تبيت الغول تهرج ان تراهُ وصنج الجنّ من طرب يهيمُ

وقالوا ايضاً بمعرفتهم فنون القتال قال ابو دهبل الجمحي

جنّية او لها جنّ يعلمها رمي القلوب بقوس ما لهُ وترُ

وزعموا انهم يوقدون الشُعَل في الليل قال الاعشى ميمون

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجنّ بالليل في حافاتها شُعَلُ

وانهم يتعرَّضون للناس فيثيرون وساوسهم قال كهدل الراجز

وابعثْ لهُ يا ربّ عنا شغْلا وسواس جنّ وشلالاً مدخلا
وجَرَبًا قشرًا وجوعًا أطحلا (٦)

وكانوا اذا تغالوا في وصف غادة حسناء قالوا انها جنية قال حسان بن ثابت

جنيّة ارّقني طيفها تذهب صبحًا وترى في المنام

وكانوا يعتقدون بان الجن يتلوّنون كالغول قال امية بن ابي عائذ الهذلي "صحارٍ تغوّل جنّانها" (٧)

٣ الغول

والغول عندهم حيوان وصفهُ عنترة العبسي بقولهِ

والغول بين يديَّ يخفى تارة ويعود يظهر مثل ضوء المشعلِ
بنواظر زرق ووجه اسود واظافر يشبهن حدّ المنجلِ

وقال ابو المضراب عبيد بن ايوب

ولله در الغول اي رفيقة لصاحب قفرٍ خائف يتقتّرُ (٨)
فلما رأت ان لا اهال وانني شجاع اذا هزّ الجبان المطيَّرُ
اتتني بلحن بعد لحن واوقدت حواليَّ نيرانًا تبوخ وتزهرُ (٩)

وكانوا يزعمون انهُ يتكلم كالبشر وانهُ اذا ضرب ضربة واحدةً مات فان ثنّي عليهِ عاش (على ما هو شائع بين البسطاء حتى الآن) قال تابط شرًّا

(٥) ذاك قول مَن يأخذ كلام النابغة مأخذ الحقيقة لا المجاز (انظر صفحة ١٠٧٩ من المجلد الـ ٣٧ من المقتطف) (٦) القشر مصدر بمعنى اسم الفاعل والقاشر الكاشط . والاطحل الذي يأخذ منهُ العلل وهو وجع الطحال (٧) الجنان جمع جان وهو اسم جمع للجن (٨) يقتر بنهيأ للقتال
(٩) باعت النار خمدت وزهرت اضاءت

واني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحانِ (١)
فشدّت شدةً نحوي فاهوى لها كفي بمصقولٍ يمانِ
فاضربها بلا دهش فخرّت صريعًا لليدين وللجرانِ (٢)
فقالت عُدْ فقلت لها رويدًا مكانك انني ثبتُ الجنانِ
فلم انفكّ متكئًا لديها لانظر مصبحًا ماذا دهاني
اذا عينان في رأس قبيح كرأس الحرّ مشقوق اللسانِ

وكانوا يسمون اناث الغول سعالي وسعالى مفردها سعلاء وسعلاة قال الاشتر النخعي

خيلاً كامثال السعالى شزّبًا تعدو ببيض في الكريهة شوسِ

٤ التمائم

وكانوا يتخذون التمائم لدفع الاذى قال علقمة بن علقة

ولا مُلقٍ لذي الودعات سوطي ألاعبهُ وربتهُ اريدُ (٣)

وقال عبدالله بن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم طفلة زانها اغرّ وسيمُ (٣)
يتقي اهلها العيون عليها فعلى جيدها الرقى والتميمُ (٤)

وقد ذكر ابو ذئيب الهذلي فساد ذلك بقوله

واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفعُ

٥ الصفَر

ومن اوهامهم ان في البطن دويبة مثل الحية يسمّونها الصفَر تعتري من به شدة الجوع قال اعشى باهلة

لا يتأرى لما في القدر يرقبهُ ولا يعضّ على شُرسُوفهِ الصفرُ (٥)

٦ السلوانة

ومن اوهامهم السلوانة وهي خرزة شفافة اذا دفنتها في الارض ثم بحثت عنها رأيتها سوداء

(١) السهب الفلاة والصحصحان ما استوى من الارض (٢) الجران مقدم عنق البعير من مذبحه الى مغرزه وقد اطلق هذا الشاعر الجران على كل عنق فدخلت بذلك عنق الغول فكان قوله مجازًا مرسلاً من باب تسمية الشيء باسم جزئه (٣) الودعات خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النواة تتفاوت في الصغر والكبر (٣) الطفلة الرخصة الناعمة والوسيم الحسن
(٤) الرقى جمع رقية وهي العوذة والتميم جمع تميمة وهي خرزة رقطاء يُتعوَّذُ بها
(٥) تأرى الشيء بحرّاه . والشرسوف مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن

فكانوا يحتونها ويسقون ماءها لمن ابتلي بحب فيزول عنهُ الحب ويسلو وتسمى هذه الحزرة سلوة وسلوانًا قال عروة بن حزام في السلوة

فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة الاَّ بها سقياني

وقال رؤبة مسلم لا انساك ما حييتُ لو اشربُ السلوان ما سليتُ

ما بي غنى عنك وان غنيتُ

وفي لسان العرب ان السلوان " هو ما يؤخذ من تراب قبر ميت فيذرُّ على الماء فيسقاهُ العاشق ليسلو عن المرأة فيموت حبهُ " واستشهدوا على ذلك بقول بعضهم

يا ليت ان لقلبي من يعلّلهُ او ساقيًا فسقاني عنكِ سلوانا

وقال بعضهم السلوانة حصاة يسقى عليها العاشق الماء فيسلو وعلى ذلك شاهد النحاة

شربتُ على سلوانة ماء مزنة فلا وجديد العيش يا ميُّ ما اسلو

٧ الطيرة

ومن اوهامهم ايضًا الطيرة فانهم كانوا يتشاءمون ويتفاءلون قال تميم بن ابي مقبل العامري

انَّا مشائيم ان امسيت جاهلنا يوم الطعان وتلقانا ميامينا

وقال المقنَّع الكندي

وان يزجروا طيرًا بنحس يمرُّ بي زجرتُ لهم طيرًا يمرُّ بهم سعدا

وقال علقمة الفحل

ومن تعرَّض للغربان يزجرها على سلامتهِ لا بدَّ مشؤومُ

وكان منهم من يتفاءل بالسانح قال ذو الرمَّة

خليليَّ لا لاقيتما ما حييتما من الطير الاَّ السانحات واسعدا

ويتشاءم بطير الشمال قال ابو ذؤيب

زجرتُ لها طير الشمال فان تكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها

ومما تشاءموا به نوع من الطير يسمى الاخيل قال الفرزدق

اذا قطنًا بلَّغتنيهِ ابن مدرك فلُقيتِ من طير اليعاقيب اخيلا

وقال حسان بن ثابت

ذربني وعلي بالامور وشيمتي فما طائري فيها عليك بأخيلا

قال العيني محمود " اهل نجد يتيمنون بالسانح دون البارح واهل الحجاز بعكس ذلك قال النابغة (الذبياني) وهو نجدي فتشاءم بالبارح

زعم البوارح ان رحلتنا غدًا وبذاك تنعاب الغراب الاسود

وقال كثير وهو حجازي ممن يتشاءم بالسانح

اقول اذا ما الطير مرّت مخيفة سوانحها تجري ولا استثيرُها

فهذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدي لغة الحجازي والحجازي لغة النجدي فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدي

فبيني على طير سجيس نحوسهُ واشأم طير الزاجرين سنيحُها(٦)

وقال الاعشى وهو نجدي

اجارها شرٌّ من الموت بعد ما جرت لهما طير السنيح باشأم

وقد ذكر الكميت الاسدي عدم مبالاته بهذا الوهم في قوله

ولا انا ممن يزجر الطير همهُ اصاح غرابٌ ام تعرّض ثعلبُ

ولا السانحات البارحات عيشة امرّ سليم القرن ام مرّ اعضبُ(٧)

وذكر لبيد العامري كون هذا الوهم باطلاً بقوله

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

اما النابغة الذبياني فاطال الكلام في تفنيد هذا الوهم حيث قال

تعلّم انهُ لا طير الاّ على متطيّر وهو الثبور(٨)

بلى شيءٌ يوافق بعض شيء احايينًا وباطلهُ كثيرُ

وأنشد لمرقش السدوسي

لا يمنعنّك من بقا ء الخير تعقادُ التمائمْ

ولقد غدوتُ وكنت لا اغدو على واقٍ وحائمْ(٩)

فاذا الاشائم كالأيا من والايامن كالاشائمْ

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ

قد خطّ ذلك في الزبو رِ الاولّيات القدائمْ

وفي كلام عتمة والكميت ولبيد والنابغة شواهد على ان ذوي العقول الثاقبة من العرب كانوا ينكرون الطيرة وما كان قول النابغة "زعم البوارح" الاّ من باب متابعة القوم لا من باب الاعتقاد ولذلك قال زعم وزعم مطية الكذب

امين ظاهر خيرالله

(٦) السجيس الدائم (٧) الاعضب المكسور القرن (٨) الثبور الهلاك
(٩) الواقي الصرد وهو طائر والحائم الغراب